

يبدو مجتمعنا العربي في حالة ارتباك، وكأننا نعيش حالة انتقالية من مرحلة إلى أخرى.. ولست أدري ما المرحلة التي تخبو وماهي المرحلة الجديدة القادمة إلينا؟.

هل يعقل ما نراه...؟! إن حقيقة المشهد الذي نعيشه اليوم تظهر بما لا يقبل الشك أننا في حالة ضياع وتخبط، ساعدت على ذلك عوامل عديدة، ولعل الأبرز فيها أننا عشنا في عالم فقد خصوصيته نتيجة لقرون طويلة من الاحتلالات المتعاقبة، مع ما يحمله كل منها من مشاريع ثقافية وأخلاقية وحضارية متناقضة مع مجتمعنا، وخير مثال على ذلك الاحتلال العثماني الذي دام أربعة قرون.

لست في صدد الحديث عن المؤامرة الخارجية، ولكنني أشير إلى حملات غزو ثقافية مبرمجة يرافقها تواطؤ عربي داخلي وتسليم مطلق بالأمر الواقع، مما يجعل مجتمعنا العربي يعاني إحساساً بالتخبط الفكري والنفسي، خاصة مع الإقرار بعدم وجود ما كينة إعلامية موازية أو مجابهة -لاسمح الله- مما يسهم بتخفيف الضغط عنه.

إن ما فعلته الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية المعقدة بالمجتمع العربي، جعلت منه تربة خصبة لأفكار ونظريات وتجارب مستوردة، فنرى فكرة الخضوع للاحتلال تلقى من يروج لها وحتى التطرف الديني، كإحدى الأفكار المستوردة التي استقدمت إلى مجتمعنا من مختبرات الولايات المتحدة لمحاربة الشيوعية، ولولا حضن القرآن للغة العربية لكانت استبدلت كلمة عرب بمصطلح آخر مستورد.

إن هذا الواقع المشردم ما هو إلا دليل على الطفولة السياسية، التي لا يزال يعيشها المواطن العربي، ومن ورائه النظام الرسمي العربي الذي وُلد كأحد إفرزات الاحتلال. بدأ هذا النظام غير مؤهل لحماية الاستقلالات التي تمت أيضاً نتيجة توازنات دولية في حينها، وغير قادر أيضاً على رعاية العقول العربية والعمل على تنشئة الدولة، وبعبارة أخرى أتى النظام الرسمي العربي كخيار الأمر الواقع للدول الاستعمارية وليس نتيجة حركة طبيعية لتطور الأمة العربية، كل هذا يعني أننا نعيش فراغاً ثقافياً وسياسياً يتم ملؤه بمفاهيم ثقافية جديدة تخدم نوعاً جديداً من الاحتلال.

فمتى نحلم بمجتمع صلب قادر على صد كل ما يحاك له، مجتمع منيع يواجه كل المحاولات المتكررة لطمس أي معلم من معالم الحضارة فيه؟.

المجتمع العربي والقفز في الفراغ

فاديا جبريل